mtarbiat.ir

مبانی تربیت و رشد اسلامی

مستندات جلسهٔ هشتاد و هشتم

موضوع:

تربیت و ربوبیت (۲۶)

استکبار (۷)

بیست و هشتم اردیبهشت ماه ۱۴۰۴

بسم الله الرحمن الرحیم

اللهم صل علی محمد و آل محمد و عجل فرجهم

بخش‌های هشداردهنده‌ای از خطبهٔ قاصعه از امیر مؤمنان علی علیه‌السلام

امتحان انسان‌ها با ظاهر متواضعانهٔ انبیاء

... فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِی أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِی أَعْيُنِهِمْ.

وَ لَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَ مَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ (علیهما السلام) عَلَى فِرْعَوْنَ وَ عَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَ بِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَ دَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِی دَوَامَ الْعِزِّ، وَ بَقَاءَ الْمُلْكِ وَ هُمَا بِما تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ فَهَلَّا أُلْقِیَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ» إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَ جَمْعِهِ وَ احْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَ لُبْسِهِ!

وَ لَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَانِ، وَ مَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَ مَغَارِسَ الْجِنَانِ وَ أَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَ وُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ وَ لَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَ بَطَلَ الْجَزَاءُ وَ اضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَ لَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ وَ لَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَ لَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا.

وَ لكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِی قُوَّةٍ فِی عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَ الْعُيُونَ غِنىً وَ خَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَ الْأَسْمَاعَ أَذىً.

وَ لَوْكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَ عِزَّةٍ لَاتُضَامُ، وَ مُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَ تُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِی

الإِعْتِبَارِ وَ أَبْعَدَ لَهُمْ فِی الإِسْـتِكْبَارِ، وَ لآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

وَ لكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَ التَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَ الْخُشُـوعُ لِوَجْهِهِ، وَ الاِسْـتِكَانَةُ لِاَمْرِهِ، وَ الاِسْـتِسْـلاَمُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّـةً، لا تَشُـوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَـائِبَةٌ. وَ كُلَّمَا كانَتِ الْبَلْوَى وَ الاِخْتِبَارُ أَعْظَمَ، كانَتِ الْمَثُوبَةُ وَ الْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

امتحان انسان‌ها با کعبه

أَلا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ، سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْاَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ؛ بِأَحْجَارٍ لا تَضُـرُّ وَ لا تَنْفَعُ، وَ لا تُبْصِـرُ وَ لا تَسْمَعُ.

فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ «الَّذِی جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِياماً» ثُمَّ وَضَـعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْاَرْضِ حَجَراً، وَ أَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً وَ أَضْـيَقِ بُطُونِ الْاَوْدِيَةِ قُطْراً. بَيْنَ جِبَالٍ خَشِـنَةٍ، وَ رِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَ عُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَ قُرىً مُنْقَطِعَةٍ؛ لا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَ لا حَافِرٌ وَ لا ظِلْفٌ.

ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيهِ السَّلاَمُ وَ وَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْـفَارِهِمْ، وَ غَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِی إِلَيْهِ ثِمَارُ الْاَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَ مَهَاوِی فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَ جَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّهِ حَوْلَهُ.

وَ يَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُـعْثاً غُبْراً لَـهُ قَـدْ نَبَـذُوا السَّـرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَ شَـوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّـعُورِ مَحَاسِـنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلَاءً عَظِيماً، وَ امْتِحَاناً شَـدِيداً، وَ اخْتِبَاراً مُبِيناً، وَ تَمْحِيصـاً بَلِيغاً جَعَلَهُ اللهُ سَـبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَ وُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ.

وَ لَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَ مَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ

وَ أَنْهَارٍ، وَ سَـهْلٍ وَ قَرَارٍ، جَمَّ الْاَشْـجَارِ، دَانِیَ الثِّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَی، مُتَّصِـلِ الْقُرَی، بَیْنَ بُرَّةٍ سَـمْرَاءَ، وَ رَوْضَـةٍ خَضْـرَاءَ، وَ أَرْیَافٍ مُحْـدِقَةٍ، وَ عِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَ رِیَاضٍ نَاضِـرَةٍ، وَ طُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَکَانَ قَدْ صَـغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَی حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ.

وَ لَوْ کَانَ الْاِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَیْهَا، وَ الْاَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِها بَیْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَ یَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ؛ وَ نُورٍ وَ ضِیَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِکَ مُصَارَعَةَ الشَّکِّ فِی الصُّـدُورِ، وَ لَوَضَـعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِیسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَ لَنَفَی مُعْتَلَجَ الرَّیْبِ مِنَ النَّاسِ، وَ لکِنَّ اللهَ یَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّـدَائِدِ، وَ یَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَ یَبْتَلِیهِمْ بِضُـرُوبِ الْمَکَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّکَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَ إِسْـکَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِی نُفُوسِـهِمْ. وَ لِیَجْعَلَ ذَلِکَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَی فَضْـلِهِ، وَ أَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ.

هشدار هشدار نسبت به دام تکبر

فَاللهَ اللهَ فِی عَاجِلِ الْبَغْیِ، وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَ سُـوءِ عَاقِبَةِ الْکِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْـیَدَةُ إِبْلِیسَ الْعُظْمَی،وَ مَکِیدَتَهُ الْکُبْرَی؛ الَّتِی تُسَـاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ.

فَما تُکْدِی أَبَداً، وَ لا تُشْـوِی أَحَداً، لا عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَ لا مُقِلًّا فِی طِمْرِهِ. وَ عَنْ ذَلِـکَ مَـا حَرَسَ اللهُ عِبَـادَهُ الْمُؤْمِنِینَ بِـالصَّـلَوَاتِ وَ الزَّکَوَاتِ،وَ مُجَاهَدَةِ الصِّیَامِ فِی الْاَیَّامِ الْمَفْرُوضَـاتِ، تَسْـکِیناً لِاَطْرَافِهِمْ، وَ تَخْشِـیعاً لِاَبْصَـارِهِمْ،وَ تَذْلِیلاً لِنُفُوسِـهِمْ، وَ تَخْفِیضـاً لِقُلُوبِهِمْ،وَ إِذْهَاباً لِلْخُیَلَاءِ عَنْهُمْ، وَ لِمَـا فِی ذَلِـکَ مِنْ تَعْفِیرِ عِتَـاقِ الْوُجُوهِ بِـالتُّرَابِ تَوَاضُـعـاً، وَ الْتِصَـاقِ کَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْاَرْضِ تَصَـاغُراً، وَ لُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّـیَامِ تَذَلُّلاً؛ مَعَ مَا فِی الزَّکَاةِ مِنْ صَـرْفِ ثَمَرَاتِ الْاَرْضِ وَ غَیْرِ ذَلِکَ إِلَی أَهْلِ الْمَسْکَنَةِ وَ الْفَقْرِ. (نهج البلاغه، خطبهٔ ۱۹۲)

مدرسهٔ تربیت و رشد اسلامی

mtarbiat.ir